يعصيهما وأخرج من كرام على الله عز وجل الخاتن الذاكر أفضل قال ابن عطية وقوله سبحانه وسبحوه بكرة وأصيلا أراد في
كل الأوقات بحوده الزمن بطرفي نهاره وليله قلت ومما يدل على أن المراد في كل الأوقات قوله في الآية الأخرى
في آل عمران الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية وروى ابن المبارك في رقائقه قال
أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا قال ابن عطية قوله سبحانه فلولا أنه كان من المسبحين للبث
في بطنه إلى يوم يبعثون قيل المراد بالمسبحين القائلين سبحان الله قاله ابن جريج وقالت فرقة بل التسبيح
هنا الصلاة قال ابن عباس وغيره صلاته في وقت الرخاء نفعته وقت الشدة نفعه ذلك قال الله سبحانه
فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون وأن فرعون كان طاغيا باغيا فلما أدركه
الغرق قال آمنت فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة قال ابن جبير الإشارة بقوله
من المسبحين إلى قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قط وأسند أبو بكر بن الخطيب
عن أم معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي
من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور قال
الغزالي في الإحياء من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الابتهال والذكر والنفع
في حسن المآب ومن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر
أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر لكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم
الله منتظر قال المحقق في شرحه لأسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه الحفيظ قال
بعضهم ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه قلبه وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله
حجة على عباده وروى أبو نعيم في حليته عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال كان من دعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك من قبل أن يكون
الدمع دما والأضراس جمرا وروى ابن المبارك في رقائقه عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني يا رسول الله من جلساء الله سبحانه يوم القيامة فقال هم الخائفون الخا
ضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله فهم أول الناس يدخلون الجنة قال لا
قال فمن أول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فتخرج إليهم منها ملائكة فيقولون
ارجعوا إلى الحساب فيقولون على ما نحاسب والله ما أفيضت علينا الأموال في الدنيا فنقبض فيها
ونبسط وما كنا أمراء نعدل ونجور ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين وجاء في معنى
قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن الرجل المؤمن إذا مات
بكى عليه من الأرض موضع عبادته أربعين صباحا ويبكي عليه من السماء موضع صعود عمله فلانوا

دم بان

ولم يكن يصعد فوقهم من عملهم صالح فتبكي عليهم السماء والأرض وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأ هذه الآية
وقال إنهما لا يبكيان على كافر قال الواحدي وعن مجاهد ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض
وقال أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد
كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وروى ابن المبارك في رقائقه قال أخبرنا الأوزاعي قال
حدثني عطاء الخراساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة
وبكت عليه يوم يموت وروى ابن المبارك أيضا عن أبي عبيد صاحب سليمان أن العبد المؤمن إذا مات تنادت
بقاع الأرض عبد الله المؤمن مات فتبكي عليه السماء والأرض فيقول الرحمن تبارك وتعالى ما يبكيكما على عبدي
أواب حفيظ
فيقولان يا ربنا لم يمش على ناحية منا قط إلا وهو يذكرك قوله سبحانه هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ
قال ابن عطية الأواب الرجاع إلى الطاعة وإلى مراشد نفسه وقال ابن عباس وعطاء الأواب المسبح من قوله
يا جبال أوبي معه وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه إلى ربه وقال عبيد بن عمير كنا نتحدث أنه الذي
إذا قام من مجلسه استغفر الله مما جرى في ذلك المجلس وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل
والحفيظ معناه لأوامر الله وأسند البيهقي في دلائل النبوة عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك كان في المسجد فسمع كلاما من زاويته وإذا هو بقائل يقول
اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك ألا تضم إليها
أختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصادقين إلى ما شوقتهم إليه فذهبوا ينظرون فإذا هو
الخضر عليه السلام مختفيا قال الغزالي في الإحياء اعلم أن رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا
ورأس أسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور وقال رحمه الله اعلم أنه لا وصول إلى سعادة
لقاء الله سبحانه في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل
١١٨
المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر
والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك
المشتهيات إلا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات
وروى أبو نعيم عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال إن لله عبادا فوق ماء
عطالة يخوضون في الحديث فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغبات قال الوليد فذكرته لعبد
الرحمن بن يزيد بن جابر فقال نعم حدثني أبو طلحة حكيم بن دينار أنهم كانوا يقولون آية الدعاء المستجاب
إذا رأيت الناس غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك من الحلية وقال الغزالي أنواع الأذكار
والدعوات قال وينبغي أن تعلم أن جميع ما ذكرناه إن قدرت عليه أو تجعل من جملتها ما هو فوق طاقته